مركزية علم الصرف في العربية وانعكاساته على الدرس اللغوي الحديث ـ دراسة تأصيلية ـ

هشام بن حليمة*
جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس
hichamghano07@gmail.com

الإرسال: 2021/10/16 **القبول:**2022/05/19 **النشر:** 2022/06/01.

الملخص: لا تنتهي حدود الصرف عند وصف الأبنية وتصنيفها والقياس عليها ، لأن الوحدة الصرفية هي في الحقيقة لبنة في نظام اللغة ، تربطها به وشائج محكمة ، فهي ترتبط عموديا بالاشتقاق والدلالة ، وتتفرع أفقيا بالوزن والعلامات ، وقد أدرك اللغويون العرب هذه الحقيقة ، فبحثوا أبنية الصرف بحثا علميا لا ينفصل عن العناصر المكونة للغة ، بل يتكامل معها ، ايمانا منهم بالمركزية التي يشغلها الصرف في تحليل اللغة ، وقد وقفت اللسانيات الحديثة مواقف متباينة إزاء هذا المنهج ، بين القبول على أنه الفهم الصحيح للصرف والمناسب لطبيعة اللغة ،والرفض لكونه ينحو منحى شموليا في دراسة الظواهر اللغوية حائدا عنالدقة والموضوعية.

الكلمات المفاتيح: اللغة ، علم الصرف ، العربية ، مركزية .

The centrality of morphology in Arabicin the lightofthe modern linguistic lesson.

*المؤلف المرسل.

Abstract: The limits of morphology do not end when describing buildings, classifying them and measuring them, because the morphological unit is in fact a building block in the language system, linked to it by tight ties. It is not separated from the constituent elements of the language, but rather integrates with them, believing in the centrality that morphology occupies in the analysis of language, modern linguistics has taken different positions regarding this deed, between admiration as the correct understanding of morphology, appropriate to the nature of language, and denial because it takes a holistic approach in the study of linguistic phenomena, deviating from accuracy and objectivity..

Key words: Language, Morphology, Arabic , centrality.

1- مقدّمة:

قد تبدو مهمة الصرف البحث المجرد في أبنية اللغة ، وتناولها بدقة البحث وسلامة النظر ، إلا أن اللغة أعقد منأن تخضع للتفكيك والتجريد ، لأن الوحدة الصرفية هي في الحقيقة لبنة في نظام اللغة ، تربطها به وشائج محكمة ، فهي ترتبط عموديا بالاشتقاق والدلالة ، وتتفرع أفقيا بالوزن والعلامات ، والدراسة الصرفية عند العرب راعت إلى حد بعيد هذه الجوانب ، فاهتمت بدراسة بنية اللفظ دون إغفال المعنى ، لأن البنية في أساسها شحنة معنوية ، وهي أصغر بناء مستقل بالدلالة ، كما تداخلت الأبنية الصرفية مع التراكيب النحوية ، وقد كان النحو علما يبحث في القواعد الضابطة للسان العرب إفرادا وتركيبا ، وبالصرف تنتظم حركة الاشتقاق وفق أنساق معينة تهيئها للاستعمال ، هذا المنهج في الدراسة يمثلإدراك اللغويين العرب بالمركزية التي يشغلها التصريف ، فلا يبنى النحو إلا على معطياته ، ولا تتوقف غاية الصرف عند حدود وصف الأبنية والقياس عليها بل يتعدى إلى خدمة الجمل والدلالة والحفاظ على كيان اللغة ، وقد تباينت آراء المحدثين إزاء هذا المنهج ، فمنهم من أيد هذه الفكرة ، وأظهر قبوله بصنيع الأقدمين ، وأثنى على فهمهم الصحيح للصرف ، وتناغمه مع طبيعة اللغة ، ومنهم من استشكل هذا البعد الشمولي في دراسة

الظواهر اللغوية عند العرب، وعده نقيصة في الدرس، ومجانبة للدقة والموضوعية، وهنا تُطرح الإشكالية الآتية: كيف نتمثل مركزية الصرف في دراسة اللسان العربي؟ وإلى أي مدى أثبتت الدراسة الصرفية العربية نجاعتها في ظل ما توصلت له الدراسات اللسانية الحديث؟

والإجابة عن هذه التساؤلات ستكون في ثلاثة مباحث نسعى من خلالها إلى وضع اليد على بعض الجوانب التي تبين القيمة العلمية للصرف العربي: الأول في منهج الدراسة الصرفية عند العرب، والثاني في مركزية علم الصرف في العربية، أما الثالث ففي المواقف اللسانية الحديثة اتجاه البحث الصرفي العربي.

2-منهج الدراسة الصرفية عند العرب: الصرف أصول وقواعد تعرف بها أحوال أبنية الكلمة[1]، وتختلف الدراسة بحسب طبيعة كل لغة ومكوناتها، واللغة العربية لغة اشتقاقية تتولد ألفاظها وترتبط ببعضها عن طريق الوزن والمعنى بأصل اشتقاقي، وحتى تكون الدراسة الصرفية متوازنة ومتكاملة اتخذ اللغويون العرب منهجا بحثيا يراعي طبيعة اللغة العربية ويضمن الدقة والإحكام، وأبرز ما ابتدعوه في هذا الصدد الميزان الصرفي *، وهو فكرة بديعة تقوم على أساس تجريدي، وليس "من قبيل التجريد الساذج لأن هذا التجريد هو تعميم منطقي رياضي، وليس تجريدا كيفيا محضا"[2]، لأنه قائم على استيعاب أبنية اللغة بالملاحظة والاستقراء من ناحية تغييراتها التصريفية والاشتقاقية،" وهو يؤدي إلى تحديد الجذور المعجمية الثلاثية غالبا للأفعال، مثبتا أنها أساس مجموعة كبيرة من صيغ الاشتقاق والتصريف[3]، بالإضافة إلى أن هذه العملية التى "تجعل للفاء والعين واللام أحولا بحسب ما تقتضيه الحركات والسكنات واعتبارات أخرى هي في الحقيقة ما يسمى الآن جداء ديكارتيا، لأنه نتيجة لضرب مجموعة في مجموعة"[4]، وبذلك جمعت كل التغييرات الحاصلة في الأبنية سواء في بيان الحروف الأصول من الزوائد، أو في حركات الداخلية الأبنية وما يلحقها من تغييرات، ولعل أجود ما حققوه في هذا المضمار هو إحصاء عناصر اللغة المعجمية، وكذا الأوزان الصرفية المسموعة عن العرب وقوانين البناء عليها، فحفظوا بذلك مواد اللغة ونظام أبنيتها وهو يمثل الثابت في اللغة ،وراعوا المتغير فيها، وهو طبيعتها في النمو والتطور عبر آليات التوليد والاشتقاق .

3-الصرف والاشتقاق: يلتبس الصرف بالاشتقاق ، لاسيما وأنهما يمثلان حركة توليد الألفاظ من أصولها ، والأدق هنا أن نستعمل مصطلح التصريف ، وهو غير الصرف** ، لأن التصريف تحويل كلمة من بنية إلى أخرى للدلالة على ضروب من المعاني كاسم الفاعل والمفعول والآلة والزمان والمكان وغيرها ؛ أو قصد التخفيف أو الإلحاق أو التخلص من التقاء ساكنين بالحذف والنقل والإدغام والإعلال والإبدال[5] ، فالتصريف تلوح منه الصبغة التطبيقية العملية ، وهو ما تفسر به الزيادة في فعله ، لأن صرّف بتضعيف العين يقتضي المبالغة في معنى الفعل ، وهذا المعنى هو الشائع في كتب النحاة الأوائل ، لما كانت مباحث الصرف متفرقة في كتب النحو ، ككتاب سيبويه ، فكان "التصريف يطلق على مبحث خاص من مباحث النحو يقال له الاشتقاق ، أو اختراع الصيغ القياسية ، أو مسائل التمرين"[6] ، وقال الخليل" التصريف اشتقاق بعض من بعض"[7] ، وبالتعبير الحديث هو "علم البنية التعليمي"[8] .

فالاشتقاق يطلق على العلم الباحث في العلاقات بين ألفاظ اللغة من جهة الأصل والفرع ، ويطلق أيضا على آلية البناء وهو التفريع عن الأصل ، وهو بهذا أحد معاني التصريف ، وبهذين المعنيين جاء تعريفه في الدرس اللغوي الحديث ، يقول فندريس: الاشتقاق Etymologie فهو العلم الذي موضوعه دراسة المفردات ، وتنحصر في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة ، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلبات التي مرت بها ، فهو إذن علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح به المعلومات التاريخية بالوصول إليه ، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال[9] ،

وعلى هذا يكون الصرف هو المقياس الضابط للأبنية الناتجة عن الاشتقاق ، فلا تخرج الألفاظ المشتقة إلا منسكبة في صيغ صرفية ،"واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية ، لأن هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق ، ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي يمكن به أن تُحدد الكلمات[10] ، والاشتقاق خادم للصرف من جهة معرفة الأصول من الزوائد ، فكثيرا ما تتحدد الصيغ الصرفية باعتبار الأخذ والتفريع الاشتقاقي ، فـ"النشاط الاشتقاقي يمثل

اتجاها نازلا نحو المركز ـ المصادر الأصلية ـ واتجاها آخر صاعدا إلى أطراف الدائرة المحدد بالأوزان والصيغ المقبولة بعد استقراء للأسلوب العربي الفصيح"[11]

3- مركزية علم الصرف: المركزية المقصودة في هذا المقام هي ذلك الخيط الرفيع الذي الذي يصل حاضر اللغة بجذورها ، فهو يضمن التغيير والنمو الطبيعي مع الحفاظ على الثابت الذي يمثل كيان اللغة ،كما تعني المركزية أيضا حلقة الوصل بين مستويات اللغة ، فالأصوات اللغوية تشكل الوحدات الصرفية عبر قسمة التركيب (كما عبر به الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح)[12] أي أنها لا تخرج عن صيغ الصرف وأبنيته كالثلاثي والرباعي وغيرها ، كما أن عديدا من العلاقات النحوية تظهر على شكل علامات متصلة بالوحدة الصرفية.

والأصوات اللغوية وإن كانت هي مادة اللغة ، لا تقوم بأدنى وظيفة إلا في قالب الكلمة ، لأن الصوت المجرد قد يؤثر في المعنى ؛ كالنبر والتنغيم مثلا ، ولكن "النبر وحده على حد تعبير فندريس:" لا يكفي لتحديد الكلمة لأنه لا يعين حدودها إلا بصورة ناقصة"[13] ، كما أن الصوت المتمثل في حروف المباني لا يحمل شحنة دلالية تلازمه متى وُضع في الكلمة ، فـ"لا نستطيع أن ننسب قدرة دالة لكل حرف يؤلف هذه الكلمة"[14] ، وعليه فإن اللبنة الأساسية المتميزة بمعنى أصيل ملازم لها في جميع أحوالها هي الكلمة.

وقد أدرك علماء الصرف هذه الحقيقة فلم يتكلفوا عناء البحث في أصغر وحدة صرفية خارج الكلمة ، لأن العربية"تعتمد على القالب لاشتقاق الكلمات ، دون توظيف اللاصقة لاشتقاق الكلمات ، فترد الأفعال والمشتقات عاملة وغير عاملة ، عن طريق الوزن لا عن طريق لاصقة صرفية[15] ، ولذلك كانت الكلمة* وهي اللفظ المفرد الدال ، تمثل أصغر وحدة صرفية مطردة ، وجعلوا لها ميزانا صرفيا يبين أصولها الاشتقاقية وزوائدها الصيغية والإلصاقية ، وهذه الزوائد لا اعتبار لها إلا في ظلال هذه الوحدة الصرفية ، فـ "بعض أجزاء الكلمة التي تفيد دلالة يمتنع فصل بعضها عن بعض ، فوزن الكلمة مثلا لا يمكن فصله عن جذر الكلمة ، مع أن كل منها يُعد عنصرا من عناصر الدلالة الثابتة للكلمة ، ويفيد ذلك أن الحديث عن وحدات دلالية أصغر من الكلمة يستلزم فصل الوزن عن الكلمة[16] ، وهو محال لأنه يصير اللغة لغوا ، ولذلك لم يتكلفوا البحث في أصغر وحدة صرفية دون الكلمة ، ولا يمثل عجزا ولا قدحا في صنيعهم.

ثم إن الكلمة عندهم لم تكن تمثل وحدة دلالية صماء ، فهي زيادة على معناها الأساس يمكن أن تحمل مجموعة من العلامات اللغوية ، سواء زيادة إلصاقية أو صيغية ، كالتأنيث وصيغ الجموع والتصغير وغيرها ، "وهو يكشف عن وعيهم بقيام العلامة بزيادة دلالة على دلالة الكلمة[17] ، والزيادة الإلصاقية هي القابلة للانفصال كتاء الضمير ، أما الزيادة الصيغية فهي التي تكوّن بناء الكلمة فيمتنع انفصالها ، وهذا التفريق بين الزوائد لا يتم إلا في إطار الوحدة الصرفية(الكلمة) ، التي يمكن من خلالها معرفة الزوائد الصرفية من الزوائد النحوية ، بخلاف ما هو ملاحظ في التحليل (التقطيع) الحديث ،"فإن ما هو كلمة وجزء دال على معنى من كلمة فهو شيء واحد عندهم ، إذ كلاهما مورفيم بدلالته على معنى ، وهذا تخليط منهم بين المستويات[18] ، لأنه يجعل المورفيمات في كفة واحدة بجامع حملها للدلالة ، "والصواب مع النحاة العرب لأن المورفيمات يجب أن تختلف ماهيتها باختلاف المستوى اللغوي فما هو مكون للكلمة لا يكون كلمة ولو كان زائدا لأنه زيادة على الحروف الأصول لا على الكلمة ، وما هو خارج منها لأنه زيادة على الكلمة كلها مثل الضمير المتصل ولكل حالة مستوى[19] ، وبهذا تتضح الحدود الشكلية والمعنوية بين الأجزاء ، والكلمة عمودها الذي تأتلف فيه وتتميز.

وليس كل مركب صوتي يشكل كلمة ، فيبقى من احتمالات قسمة التركيب ما كان مستعملا ومشدودا بأصل معجمي ،ومسبوكا في وزن عربي ، وهو "التحليل الأفقي والعمودي المؤديان إلى إثبات المادة الأصلية والصيغة ، (وهو شيء انفرد به العلماء العرب)[20] ،وجدوى معرفة الأصل والفروع هو انتظام القياس في الألفاظ ، فترتبط عموديا بأصل الاشتقاق ، وتتفرع أفقيا عبر الفروع التي تضمنها الصيغ الصرفية ، ذلك أن اللغة تتطور وتتغير عبر الأزمان ، فكان لابد من أصل تؤوب إليه الألفاظ في توليدها ، ويكون "تولّد الألفاظ الجديدة من الأصول المعروفة كما تصورها النحاة وعلى قياس كلام العرب ، وهذا تحولٌ تنمويٌ طبيعي يحصل في جميع اللغات ، أما التغيير الذي يصيب نظام اللغة عبر الزمان لأسباب مختلفة وأهمها كثرة الاستعمال واختلاط الأجناس فهذا تحول يجعل من اللغة شيئا فشيئا لغة أخرى[21] ، هذا من ناحية معرفة الأصل ، أما معرفة الفروع فهو "يقتضي القدرة على إيجادها ، وهي القدرة على التصرف بالانتقال من العناصر الأولية إلى الوحدات المتولدة عنها[22] ، وقد استشعر ابن جني هذه القيمة الخطيرة فقال منوها بشأن علم الصرف: التصريف- يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة ، وبهم إليه أشد فاقة ؛ لأنه ميزان العربية ، وبه تعرف أصول

كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها ، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به, وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس ، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف[23] ، وهي نفس القيمة التي يقرها علم اللغة الحديث ، يقول فندريس J Vendrys: يسود التغييرات الصرفية اتجاهان عامان الأول مبعثه الحاجة إلى التوحيد ، ويميل إلى إقصاء العناصر الصرفية التي أصبحت شاذة ، والآخر مبعثه الحاجة إلى التعبير ويميل إلى خلق عناصر صرفية جديدة[24] ،

4- موقف اللسانيات الحديثة من الصرف العربي: لا شك أن اللسانيات الحديثة حققت خطوات متقدمة في دراسة اللسان ، و "اللسانيات تمكن الباحث العربي من التطرق إلى تراثه بأدوات علمية منضبطة تجعله يقدمه للقارئ العربي بأسلوب ميسر يتناسب وركب التطور المذهل في المجتمعات والأوساط العلمية[25] ، وتراثنا اللساني يحتاج إلى قراءة موضوعية متجردة ، تبين مواضع الطرافة والإبداع فيه ، وتنتقد النقص والهنات التي لا يسلم منها أحد ، بل هي لصيقة بالنظام اللغوي على حد تعبير فندريس J. Vendryes: كل نظام صرفي فيه مواضع نقص لا تخلو منها أية لغة ، ولو كانت من أشد اللغات تثقيفا ، ففي كل قاعدة من قواعدها شواذ لا يبررها منطق[26] .

ولعل أبرز ما استشكلته اللسانيات الحديثة في الدراسة الصرفية العربية هواختلاطها في الدرس بغيرها من الظواهر اللغوية ، وعدم اتخاذها طريقة منهجية فيتحديد الوحدات الصرفية وتصنيفها ، فظلت مشوبة بالخلط والتخمين ، ومجانبة للدقة والموضوعية ،"ذلك أن أساس البحث اللساني الذي أنشأه دو سوسير Ferdinand de Saussure يرتبط عند بمستوى لغوي بعينه ، في فترة زمنية بعينها ، ولا يجوز له أن يخلط بين المراحل الزمنية أو يخلط بين المستويات المختلفة[27] ، ويقول يمسليف Louis Hjelmslev :"لم تعنى اللسانيات القديمة بالتعلق بطريقة منهجية إلا إذا انعقد بين كلمتين أو أكثر ، ولم تلتفت إلى التعلق القائم بين عناصر الكلمة الواحدة ، ولهذا السلوك علاقة بتقسيم النحو إلى المورفولوجيات(الصرف) والتركيبات ، وهو تقسيم ركنت اللسانيات إلى ضرورة العمل به منذ العصور القديمة ، لكننا كغيرنا من اللغويين المحدثين سرعان ما رددنا هذه الأطروحة لأنها غير مناسبة"[28] .

وعلى هذا فقد سعت اللسانيات الحديثة في رصد الظواهر اللغوية ، وجمع قدرا كبير من الملاحظات حول البنية اللغوية وتصنيف عناصرها ، واستخلاص ما يترتب على ذلك من نتائج دون أن يتجاوز هذه المرحلة إلى عملية التفسير التي رأى تشومسكي Avram Noam

Chomsky أنها تمثل أهم أهداف النظرية اللغوية[29] ، وكان حظهم أن وصلوا إلى أبعد نهاية في التحليل والتقطيع ، ولم يتنبه أصحابها إلى أن بكل مستوى من اللغة عناصر ذات خصوصية في تركيبها وصياغتها وفي علاقاتها بما تحتها وما فوقها ، فمنح الاهتمام الكبير لكل قطعة صغرى دالة كقطعة صغرى دالة فقط هو عندنا إجحاف وطمس للوحدات البنوية الأخرى[30] ، ولذلك كانتفي كل مرة تعيد صياغة أسسها ومناهجها ، بما يشعر بالاضطراب خاصة في وصف الأبنية اللغوية وتمييزها وتقسيمها.

و"المورفيم Morphème الذي هو أساس التحليل الصرفي الحديث"[31]، اختلف اللسانيونفي تحديده[32] ، وهل يكون حاملا للدلالة ، أم هي أدوات الربط؟ وكثرت فيه المصطلحات فيسميه بعضهم الصرفيات ، وهذه الصرفيات هي إما صرفيات معجمية .m l'exicaux ، وهي وحدات لغوية تحيل على شيء مادي أو معنوي يوجد في الواقع الخارجي ، وإما صرفيات نحوية m. grammticaux وهي وحدات لغوية تحيل على معنى من المعاني النحوية في نسق من الأنسقة ، مثل الصرفيات النحوية التي تدل على المضارعة أو التعريف أو الرفع أو النصب أو الجر أو العدد في النسق العربي[33] ، وقديكون هذا الاختلاف ناشئ عن اختلاف اللغات فكل لغة تنفرد بطبيعة نسقية ونظام تأليفي يميزها عن باقي اللغات ،إلا أن الكيان الذي يجمع كل هذا الشتات هو الكلمة ، وهو ما يقر به الدرس الحديث ضمنيا أو بمصطلحات مغايرة ، "ولعل ممن وضحوا المعنى التقليدي لهذا الاصطلاح فندريس VENDRYES ، فالمورفيمات في اعتباره عناصر صرفية ، تربط بين الأفكار التي يتكون منها العام للجملة ، وهذه الأفكار واضحة في السيمانتيمات Semantème ، أو نواة المعنى المعجمي[34] .

أما الدراسة العربية للصرف فقد كانت موضوعية راعت إلى حد كبير طبيعة اللغة التي يكون البحث العلمي فيها بحثا في الشكل دون إغفال نظامها ووظيفتها ،"فالتحليل اللغوي الذي أدى اللغوي العربي إلى اكتشاف كيانين اثنين تتكون منها الكلمة العربية المتصرفة غير الجامدة ، وهما الأصل الحرفي من جهة أو الجذر ، وبناء الكلمة من جهة وهو تحليل غريب جدا بالنسبة إلى تحليل الكلام إلى وحدات دالة بطريقة العلماء الغربيين في اللسانيات الحديثة[35] ، فقد استقر عند النحاة مفهوم "الكلمة"** وهي اللفظ المفرد الدال ، أو بتعبير لساني أصغر وحدة بنائية وظيفية ذات معنى ، ومقياسهم الوحيد لإثبات الكلمة وهو ما

يسمونه بالانفصال ، ويعنون بذلك قابلية الجزء من الكلام أن ينفصل بدون أن يخل ذلك بتقطيع الكلام وما ينفصل عنه[36] ، واستثنوا من هذه الدراسة الجامد من الأفعال ، والمبني من الأسماء ، وحروف المعاني ، لأنهم اقتصروا على تسجيل ماله قانون صرفي"[37] ، ولأنها عناصر ثابتة في اللغة تشغل وظائف نحوية كالضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وغيرها ،وأعملوا فيما سوى ذلك فكرهم وحدسهم ، بما يقتضيه القياس ، ووصلوا لنتائج مرضية في وصف البنية العربية ، فكثرت لديهم مصطلحات الإعلال والإبدال والقلب ، وهي فضلا عن أنها سيقت للتخفيف ودفع التكلف ، هي آليات تتعلق بالأفعال والأسماء المعتلة من قبيل الأجوف والمهموز والمضاعف لإدراك معنى الافتراض ، وحتى تطرد هذه الأبنية في مضمار واحد مع الأبنية الصحيحة ، والتي بموجبها تصلح مفردات اللغة ويستقيم نظامها.

وعلى أساس أن الأبنية مركبات صوتية ، فإن "النحاة العرب لا يجعلون التحليل للكلام كله أفقيا أي تابعا للبعد التسلسلي للكلام (وهو ناتج عن كونه صوتا ليس إلا)[38] ،بل لا بد أن تنضبط بالقوانين الكلية للموضوعات العربية وهي كل مسموع عن العرب ، حتى تطرد مع نظام الأبنية ، ولذلك كثرت لديهم مصطلحات الزيادة والحذف والإبدال والإعلال والإدغام والقلب وغيرها ، ومايصحبها من التعليلات والتقديرات ، والتيظنها من لم ينعم النظر أثقلت كاهل الدرس الصرفي ، وهو في الحقيقة نظامها الصوري الذي يحفظ كيانها وتميزها.

والقواعد الصرفية تنشأ أحيانا لتعليل الأبنية المعتلة التي خرجت عن القاعدة ، والتي لا يتعلق بها شيء من المعاني ، سوى أنها جاءت على حالتها تجنبا للثقل أو الكراهة ، والقاعدة فضلا عن أنها تضم البنية الشاردة إلى أخواتها لتضمن الاطراد والقياس ، هي تمثل نوعا من الحفاظ على أبنية اللغة من الاختلاط والتشتيت ، مثال: لقد حفظ الإعلال قانون اطراد الجذر المعجمي المنوط به ، إذ لولا القول بقواعد الإعلال في جملتها لكان المعنى المعجمي الذي يثبت للجذر ق و ل يثب معه ومع ق ا ل ، ومع ق ي ل ، وفي هذا تشتيت آخر[39].

ولئن كانالصرف العربي يبحث في أشكال الأبنية دون بترها عن وسطها اللغوي ولا عن أدائها النحوي فإنه يتناسب مع الظاهرة اللغوية التي تتأبى على التفكيك ، وقد أدرك علمائنا المركزية التي يشغلها التصريف إذ لا يبنى النحو إلا على معطياته ، ولا تتوقف غاية الصرف عند حدود وصف الأبنية والقياس عليها بل يتعدى إلى خدمة الجمل وتحديد الدلالة ، فكثيرا ما تتغير المعاني بتغير هيئات الأبنية ، وربما تنبثق عنها دلالات أخرى حسب السياق ، "وقد

أعجب هذا المنهج علماء اللغة المحدثين فأظهروا إعجابهم بصنيع الأقدمين ، وأثنوا على فهمهم الصحيح في الجمع بين النحو والتصريف"[40] ، ومن ثم كان التحليل اللغوي عند تشومسكي N Chomsky وتلاميذه ليس وصفا للتركيب الشكلي للكلام ، ولكنه وصف كامل للغة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا ، في الوقت نفسه أو في آن واحد[41] ، ووقف كثير من هؤلاء الوصفيين في دراستهم للغة عند الشكل أو البني ، مثل الأصوات والنحو والصرف ، وأهملوا أو تجاهلوا دراسة المعنى ، ولذلك جاءت دراستهم قاصرة والسبب في ذلك فهمهم للموضوعية كما هي عند أصحاب العلوم الأخرى[42] ،وهي الحقيقة التي توصل إليها دوسوسير ، يقول في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة: "إن الأشكال والوظائف متلازمتين ، وإنه لمن العسير إن لم يكن من المستحيل الفصل بينهما ، إن المورفولوجيات(الصرف) ليست لها من وجهة نظر لسانياتية صرفة ، موضوعا حقيقيا مستقلا ، ولا يمكن لها أن تصبح مادة علمية مستقلة عن التركيبات"[43].

5- خاتمة:

إن الدرس الصرفي العربي الذي يبدو للوهلة الأولى أنه معالجة أبنية الكلم وتقسيمها والنظر في أحوالها وتقلباتها المختلفة ، هو في الحقيقة يضطلع بمهمة محورية تتمثل أساسا في ضبط الأصوات اللغوية المتلاحمة وتنسيقها وفق آليات مخصوصة تحفظ النظام اللغوي بمراعاة سلامة الاشتقاق وخفة النطق وصحة المعنى حتى يتسنى لها أن تصير كلمات أو وحدات صرفية قابلة للاستعمال ومهيأة لخدمة الجمل والدلالة ، لأن التركيب اللغوي هو متداخل عموديا على طبقات ومستويات ، وأسفلها هي الوحدات الصوتية ، وأعلاها هي التراكيب المسماة بالجمل[44] ، والمستوى الصرفي هو حلقة الوصل المركزية.

إن تحديد البنية في العربية لم يكن شكليا محضا ولا معنويا محضا وإنما يخضع لكليهما ،فالكلمة وهي أصغر وحدة صرفية عند العربتتحدد معالمها شكلا بالوزن العربي ، وترتبط معنى بأصول اشتقاقية وجذور معجمية ، كما أن أجزاءها الزائدة على الأصل تتحدد بمقياس الانفصال في كونها من الكلمة ، فمتى ما انفصلت مع الكلمة فهي منها ،. وتختلف بمفهوم المعنى بين العلامات الصرفية المكونة للبناء (الصيغة) ،والأجزاء التي تمثل علاقات نحوية أو إضافات دلالية.

حققت اللسانيات الحديثة في جانب البحث الصرفي نوعا من الجدة والطرافة بالوصول إلى أصغر الأجزاء التي يتكون منها الكلام ، وقد يصحهذا ماديا لكون الكلام صوتا محسوسا ، لكنه إجحاف في حق الجوانب الأخرى للغة وعلى رأسها نظام اللغة ووظيفتها ،وهذا الطغيان المادي الآني يذهب بحيوية اللغة ويزيحها عن مهيعها التاريخي ، وقد يعرضها للزوال أو الذوبان ،ولذلك لم تنزل الدراسة الصرفية عند العرب عن مستوى الكلمة ، وقد يبدو بحثا ساذجا لأنه يقف عند حدود الفصل الخطية والنطقية إلا أنه أعمق وأدق ، ولا أدل على ذلك من ابتداعهم الميزان الصرفي الذي يحقق ارتباط الأبنية بنظام يصلها عموديا بالأصول من مواد اللغة ، ويتيح لها أفقيا الحركة الداخلية التي تمثلها الأوزان المختلفة حسب المعاني ، والخارجية التي تمثلها العلامات النحوية المتصلة بهذه الأبنية.

6- مصادر البحث ومراجعه:

1. البنى النحوية العربية ، عبدالرحمان الحاج صالح ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، 2016.
2. تصريف الأسماء والأفعال ، فخر الدين قباوة ، دار المعارف ، بيروت ، ط2 ، 1988.
3. دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية ، عبد المقصود محمد عبد المقصود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1 ، 2006.
4. دلالة الألفاظ ،إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط5 ، 1984.
5. شذى العرف في فن الصرف ، أحمد بن محمد الحملاوي ،دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 1999.
6. علم الدلالة العربي ، فايز الداية ، دار الفكر ، دمشق ، دط ، 1996.
7. علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط9 ، 2004.
8. اللغة ،جوزيف فندريس ، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مطبعة لجنة البيان العربي ، 1950.
9. مبادئ اللسانيات ، أحمد قدور ،دار الفكر ، دمشق ، 2008.
10. معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 2003.
11. مقدمة لدراسة فقه اللغة ، حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1992.
12. مكانة الصواتة في الصرف العربي ، محمد الوادي ، كلية الآداب — مكناس- المغرب ، مجلة مكناسة ، العدد رقم 6 ، 1992/01/1.

13. من المورفولوجيات إلى السيميائيات ، مدخل إلى فكر فرديناند دوسوسير ،مختار زواوي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2019.
14. مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، 1990.
15. المنصف في شرح تصريف المازني ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، دار إحياء التراث القديم ، بيروت ، ط1 ، 1954.
16. منطق العرب في علوم اللسان ، عبد الرحمان الحاج صالح ، منشورات مجمع اللغة العربية 2010.
17. منهج الكوفيين في الصرف ، مؤمن بن صبري غنام ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة ، 1997.
18. نظرية الصرف العربي ، دراسة في المفهوم والمنهج ، محمد عبدالعزيز عبدالدايم ،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية 21 ، 2001/2000.

6- الهوامش والإحالات:

1تصريف الأسماء والأفعال ، فخر الدين قباوة ، دار المعارف ، بيروت ،ط2 ، 1988: ص 13.

*الميزان الصرفي مقياس موحد تخضع له جميع المفردات العربية ، وكون وسيلة دقيقة لتحديد صيغة الكلمة من بين أنواع الأسماء والأفعال ، وبيان ما اعتراها من تبدل أساسي فيبناءها كالحذف والزيادة والقلب المكاني ، فرجعوا إلى أصول هذه المفردات يحللونها ويصنفونها ، فإذاهيثلاثية ورباعية وخماسية ، والكلمات الثلاية الأصول أكر عدد وأوفر استعمالا ولذلك اتخذوا مادة ثلاثية الأصول توزن بها جميع المفردات وهي: ف ع ل. تصريف الأسماء والأفعال ، فخر الدين قباوة: ص 16.

2منطق العرب في علوم اللسان ، عبد الرحمان الحاج صالح ، منشورات مجمع اللغة العربية 2010: ص 244.

3نظرية الصرف العربي ، دراسة في المفهوم والمنهج ، محمد عبدالعزيز عبدالدايم ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية 21 ، 2001/2000: ص 31.

4منطق العرب في علوم اللسان ، عبد الرحمان الحاج صالح: ص 255.

**الصرف: علم بأصول وقواعد تعرف بها أحوال أبنية الكلمة ، والتصريف هو تحويل كلمة من بنية إلى أخرى ، فالصرف يطلق على المعنى العلمي والتصريف يطلق على المعنى العملي. ينظر: الحملاوي ، شذى العرف: ص 9 ، تصريف الأسماء والأفعال ، فخر الدين قباوة: ص 13.

5ينظر: أحمد بن محمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 1999: ص 42.

6 المرجع نفسه ص: 41.

7معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 2003: ج2/ 391.

8علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط9 ، 2004: ص 8.

9 اللغة ،جوزيف فندريس ، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مطبعة لجنة البيان العربي ، دط: ص 226.

10مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، مكتبة أنجلو المصرية ، 1990: ص 172.

11 علم الدلالة العربي ، فايز الداية ، دار الفكر ، دمشق ، دط ، 1996: ص210.

12البنى النحوية العربي ، عبدالرحمان الحاج صالح ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، 2016: ص 12.

13 دلالة الألفاظ ، ابراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط5 ، 1984: ص 40.

14 علم الدلالة العربي ، فايز الداية: ص23.

15 نظرية الصرف العربي ،محمد عبد العزيز عبد الدايم: ص 29.

* "اتفق معظم اللغويين الغربيين ضمنيا إلى نهاية القرن التاسع عشر على أن الكلمة هي الوحدة اللغوية التي تحمل المعنى ، وهي الحاضرة ماديا في سلسلة الحديث". نظرية الصرف العربي ، محمد عبد العزيز عبد الدايم: ص 28. أما "الدراسات اللسانية الحديثة رغبت عن مصطلح الكلمة لصعوبة تحديده والاتفاق على مدلوله في مختلف اللغات الإنسانية ، لذلك اختارت بدلا عنه مصطلح الوحدة الدلالية". اللسانيات ، أحمد قدور ،دار الفكر ، دمشق ، 2008: ص 195.

16 نظرية الصرف العربي ، محمد عبد العزيز عبد الدايم: ص 31.

17نفس المرجع: ص 29.

18البنى النحوية ، عبد الرحمان الحاج صالح: ص 39.

19نفس المرجع: ص 41.

20نفس المرجع: ص 44.

21 منطق العرب في علوم اللسان ، عبدالرحمان الحاج صالح: ص 150.

22 نفس المرجع: ص 154.

23المنصف في شرح تصريف المازني ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، دار إحياء التراث القديم ، ط1 ، 1954: ص 2.

24 اللغة ، جوزيف فندريس: 204-205.

25 دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية ، عبد المقصود محمد عبد المقصود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1 ، 2006: ص 92.

26 اللغة ، جوزيف فندريس: ص203.

27 دراسة البنية الصرفية ، عبد المقصود محمد عبد المقصود: ص 40.

28مختار زواوي ، من المورفولوجيات إلى السيميائيات ، مدخل إلى فكر فرديناند دوسوسير ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2019: ص 50.

29 دراسة البنية الصرفية ، عبد المقصود محمد عبد المقصود: ص 48.

30البنى النحوية ، عبد الرحمان الحاج صالح: ص 40.

31 ينظر: مبادئ اللسانيات ، أحمد قدور: 179.

32 ينظر: مبادئ اللسانيات ، أحمد قدور: ص 191 إلى 195.

33 مكانة الصواتة في الصرف العربي ، محمد الوادي ، كلية الآداب — مكناس- المغرب ، مجلة مكناسة ، العدد رقم 6 ، 1992/01/1: ص 61.

34مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان: ص 170.

35البنى النحوية ، عبد الرحمان الحاج صالح: ص 44.

** الدراسات اللسانية الحديثة رغبت عن مصطلح الكلمة لصعوبة تحديده والاتفاق على مدلوله في مختلف اللغات الإنسانية ، لذلك اختارت بدلا عنه مصطلح الوحدة الدلالية". مبادئ اللسانيات ، أحمد قدور: ص 195.

36البنى النحوية ، عبد الرحمان الحاج صالح: ص 37.

37 نظرية الصرف العربي ،محمد عبد العزيز عبد الدايم: ص 24.

38البنى النحوية ، عبد الرحمان الحاج صالح: ص 46.

39 محمد عبدالعزيز عبدالدايم ، نظرية الصرف العربي: 27.

40 منهج الكوفيين في الصرف ، مؤمن بن صبري غنام ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة ، 1997: ج1/ ص 4.

41 مقدمة لدراسة فقه اللغة ، حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1992: ص 59.

42 مقدمة لدراسة فقه اللغة ، حلمي خليل: ص 59.

43 من المورفولوجيات إلى السيميائيات ، مدخل إلى فكر فرديناند دوسوسير ، مختار زواوي: ص 50.

44 البنى النحوية العربية ، عبد الرحمان الحاج صالح: ص 15.